

الزواج والطلاق الأهمية والأسس والأسباب والآثار (1)

أ. مسعود جمادي
ثانوية علي ملّاح - تيزي وزو

العقود الأخرى بل رفع من شأنه فيجعله
ميثاقا غليظا وذلك عندما قال تعالى:
﴿وَأَحْضَرْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾
(النساء 21).

وذلك أن بناء الأسرة هو أخطر
بناء في كيان الأمة بأسرها فإنه البناء
الذي تتوقف عليه سلامة المجتمع وعزة
الأمة.

ولذلك فإن الأصل في عقد الزواج أن
يبني على الاستمرارية والديمومة، ويسميه

إن الزواج يعتبر من أكبر نعم الله
تعالى على عباده، قال الله تعالى:
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم 21).

وقد عني الإسلام بعقد الزواج أيما
عناية حيث جاء ذكره في القرآن
الكريم أكثر من مرة، كما أن الله تعالى
لم يجعله عقدا عاديا فحسب كبقية

الأسرية الجمّة، وتجنبنا للمفاسد العائلية العظمى وتوفيراً لعناصر الاستقرار من البداية وتأميناً للانسجام والتفاهم بين الزوجين. ولما كان الطلاق هو حل للرابطة الزوجية القائمة وتفكيك لقيد النكاح، والناتج عن أسباب كثيرة ومتنوعة تختلف باختلاف الزمان والمكان والمجتمع والبيئة، وله آثار وخيمة وسلبية تعود على الفرد والمجتمع جعله - الطلاق - ضرورة وحاجة كنافذة طوارئ يُلجأ إليها وينفذ من خلالها ليتوقى الأكبر ضرراً والأعظم مفسدة إذ قد يرتكب أدنى الضررين ويُتحمل بتفويت أعظمها.

قال الشيخ السعدي رحمه الله

تعالى:

فإن تراحم عدد المصالح

يقدم الأعلى من المصالح

وضده تراحم المفاسد

يرتكب الأدنى من المفاسد

البعض بعقد الحياة أو العمر، وبهذا العقد ينتقل الإنسان إلى حياة جديدة قد تكون مصدر سعادته أو شقائه، وقد تستمر هذه العلاقة الزوجية وتسودها الرحمة والمودة والاحترام المتبادل إن أحسن الاختيار في البداية، وكان مبنياً على أسس شرعية وعقلية، وقد تنهار بسبب الشقاق وعدم التفاهم وتنتهي بالفشل الذريع وينقلب الحب إلى ملل ويتحول الملل إلى عداوة، وتركض العداوة إلى قاعات المحاكم، والنتيجة الحتمية الطلاق وتحطيم الأسرة وتشريد الأطفال إن كان الاختيار عفويا ومرتبلاً.

ولذلك وضع الإسلام أسساً تفصيلية دقيقة للاختيار لكل من الرجل والمرأة، ينبغي مراعاتها على كل من يبحث عن شريكة حياته ومن تبحث عن شريك حياتها.

ومن مراعاة هذه الضوابط والأسس قبل عقد الزواج تفادياً للمشاكل

- **المبحث التمهيدي.**
- **المبحث الأول: الزواج وأهمية الاختيار وأسس.**
- **المبحث الثاني: الطلاق وأهم أسبابه وآثاره.**
- **الخاتمة.**

قصد المساهمة ولو بالقليل - أحاول ملكا أو أموت فأعذر - في العمل على استقرار الزواج واستمراره، وتجنب الطلاق والابتعاد عنه إذ الدال على الخير كفاعله.

المبحث الأول:

الزواج وأهمية الاختيار وأسس:

المطلب الأول: تعريف الزواج:

1) تعريفه لغة: إن الزواج لفظ عربي وما اشتق منه موضوع لاقتران أحد الشئيين بالآخر وازدواجهما واقتراحهما بعد أن كان كل منهما منفردا عن الآخر.

قال الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى: **«إنما الطلاق الذي شرعه الإسلام هو أشبه ما يكون بالعملية الجراحية المؤلمة التي يتحمل الإنسان العاقل فيها آلام جرحه، بل بتر عضو منه حفاظا على بقية الجسد، ودفعاً لضرر أكبر».**

وقديما قال أحد الحكماء: «إن من أعظم البلايا معاشرة من لا يوافقك ولا يفارقك».

وقال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

وإذا قيل هذا في صاحب الذي يلقاه الإنسان أياما في الأسبوع أو ساعات في اليوم، فكيف بالزوجة التي هي قعيدة بيته وصاحبة جنبه وشريكة عمره؟ وبناء على ما سبق ذكره وبيانه جاء الموضوع في ثلاثة مباحث:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الروم 21).

- وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «تأملت في فوائد النكاح معانيه وموضوعه فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل.»

ولذلك يعرفه الكثير من الباحثين المعاصرين والعلماء المحدثين لكشف حقيقة وبيان مقصود الشرع منه وذكر آثاره، ومن أحسن التعاريف وأكثرها شمولية:

1- قال أبو زهرة رحمه الله تعالى: إنه عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة ويحدد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات»

2- قال علي حسب الله رحمه الله تعالى: «هو اتفاق يحل به استمتاع كل

جاء في المصباح «والزوج الشكل يكون له نظير كالأطياف والألوان أو يكون له نقيض كالرطب واليابس، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والحلو والمر».

2) تعريفه اصطلاحاً: وقد عرفه كثير من العلماء قديماً وحديثاً باعتبار حلية المتعة وامتلاكها باعتبار أن ذلك من أغراضه، بل أوضح أغراضه عند عامة الناس، ولكن كما يقول أبو زهرة رحمه الله ليست هي كل أغراضه ولا أسمى أغراضه في نظر الإسلام، بل غرضه الأسمى هو التناسل وحفظ النوع الإنساني، وأن يجد كل من العاقلين من صاحبه الأنس الروحي الذي يؤلف الله تعالى به بينهما، وتكون به الراحة وسط متاع الحياة وشدائدها ولذلك قال تعالى:

الدراسات

في كل شيء لا يقيم وزناً للمظاهر، وإنما يعني دائماً بالجواهر الأصيل؛ لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

- ونظراً لما لاختيار الزوج (رجلاً كان أو امرأة) من الآثار في نجاح الحياة الزوجية أو إخفاقها، فقد أولت الشريعة الإسلامية هذا الاختيار عناية فائقة وتوجيهات سامية، حتى تأتي النتائج بأفضل مما رسمه المرء لنفسه.

وتتجلى هذه العناية في مظاهر متنوعة ومتعددة ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

1 - حث الإسلام على حسن اختيار الأزواج وتشهد لذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومنها:

أ - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِإِإَالِكُمْ فَتُصِيبُوا عُلَآءَ مَا فَعَلْتُمْ زُلُفْمً﴾ (الحجرات 06).

من الزوجين بالآخر واثتناسه به طلباً للنسل على الوجه المشروع»

المطلب الثاني: أهمية الاختيار:

إنّ بناء الأسرة هو أخطر بناء في كيان المجتمع، بل في كيان الأمة بأسرها؛ لأنّه البناء الذي تتوقف على سلامته وصلابته، سلامة المجتمع وعزّة الأمة. فإذا كان الناس يعنون عند إقامة أبنيتهم من الحجارة باختيار الموقع المناسب وتحرير الخامات الجيدة، التي تكفل سلامة البناء وتضمن بقاءه إلى حين، فإنّ بناء الأسر المكوّنة من الرجال والنساء والبنين أولى بالدقّة عند الاختيار، وأجدد بالبحث والاستفسار، إذ بناء الأحجار يتعلق بشؤون الدنيا وهي فانية وبناء الأسر يتعلق بسعادة الدنيا، ويمتد أثره إلى الآخرة وهي دار القرار.

- والإسلام في هذه الناحية - شأنه

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لِبَيْتِكَ بِهِ عَلِمْتَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء 36). فإنَّ هاتين الآيتين من أعظم الأدلة على التحري في صحة الأخبار وفي مصداقية نقلها، ولما كان عقد الزواج من أعظم العقود، كان التحري في جمع الأخبار عن الزواج من أهم الأمور عند اختيار الزوج. فلا يكتفي بالمعلومات السطحية، بل لا بدَّ من الاتصال المباشر والمعرفة الوثيقة والسؤال عنه في البيت والجيران والعمل والأصدقاء.

ب - والاختيار للزواج إن كان في مقدماته سليماً دامت العشرة بين الزوجين، بل إن الاختيار السيئ يمثل السبب الأكبر في وقوع الطلاق، يشير إلى هذا قوله تعالى ﴿... هُنَّ لِبَاسٍ لِّظَهْرِ رَأْسِهِنَّ وَلِبَاسٌ لِّهِنَّ...﴾.

ومحلّ الشاهد فيه (لباس) فمن المعروف لدى حسن الناس أنَّ للإنسان ثياباً تتطابق مع حجمه وطوله ولونه وذوقه وشعوره، فإذا اختلفت ثيابه عن تلك الموصفات كان عيباً بين الناس، ومرضاً في نفسه، ومن هنا يلزم على المرء أن يختار زوجاً يناسبه.

ج - قوله تعالى على لسان ابنة الرجل الصالح الذي زوج ابنته لموسى ﴿قَالَتْ احْبَبْهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجِرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ ابْنَتِي ابْنَتِي هَازِنَةَ عَلَّاهُ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبْجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سِتْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِكِينَ﴾ (القصص 26 - 27).

فقد رغب هذا الرجل الصالح في إنكاح موسى إحدى ابنتيه بعد أن

الدراسات

العظيمة يستدعي تحقيقها أن يتم الزواج بصفة مدروسة وواعية، وهذا لا يتأتى إلا بسلامة الاختيار للزوج.

و- ترغيب الإسلام وإرشاده إلى رؤية المخطوبة، فإنّ من شأن ذلك أن يزيد القلب اطمئناناً. فيقدم الخاطب على الزواج عن قناعة أكيدة ورضى متيقن، ولذلك وردت الأحاديث النبوية بالترغيب في رؤية المخطوبة، فإذا نظر الخاطبان إلى بعضهما، كانت تلك اللحظات من أجل تعارف الأرواح وائتلافها أو تناكرها وتنافرها، فإذا كان من القسم الثاني حسم أمره من أول الأمر، لأن عواقب هذا الزواج غير محمودة وليس من شأنه الدوام والاستمرار، والإسلام من شأنه أن يحافظ على دوام العلاقات. وأخصها العلاقات الزوجية لما لها من جوانب إيجابية ترتبط بها.

2 - تجنب الخضوع لحكم الهوى والتزوات العابرة، إذ لما كان الزواج من

تعرف على صفات موسى الخلقية من خلال كلام ابنته.

د - قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الروم 21).

هـ - قوله ﷺ «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» .

فدلّ النصان الأخيران: (آية الروم والحديث النبوي الشريف) على أنّ من أهم الأمور الناجمة عن الزواج هو السكن والاستقرار النفسي، بكلّ ما تتضمنه من حب وسرور ومودة ورحمة وتعاون...

وفي الزواج تهذيب النفس وتحسينها من الشهوات والشيطان وسدّ باب الغواية عن المسلم... وتحقيق بقاء النوع الإنساني وتعويد كل من الزوجين على تحمّل المسؤولية، فكل هذه الآثار

وتقاسم المشاعر. وعلاقة المصاهرة، وإنجاب الأولاد. فالاختيار الحسن يضمن للبيت الاستمرار ويكفل للحياة الزوجية الاستقرار.

6 - إن الاختيار الناجح للزوج سبب في العشرة الصالحة التي يقطع بها الزوجان رحلة الحياة بهدوء واطمئنان، ومتى كان الاختيار سليماً، أقمنا البيت على أساس وطيء تملؤه السعادة، وتغمره المودة، وبعكس ذلك إذا أسأنا الاختيار كان الإخفاق والشقاء.

7 - إن حاضر الأمة ومستقبلها يعتمدان على نوعية أجيالها وناشئتها، والأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد نوعية تلك الناشئة قوة أو ضعفاً.

ولما كانت المرأة أحد أعمدة الحياة الإنسانية. فإن حسن اختيارها يضمن تربية جيل صالح يبني الحياة الفاضلة بما تزرعه في أولادها من حميد الأخلاق وكريم الخلال، وإلا بذرت بذور الفساد

الأمر الخطيرة في آثاره وكان التوفيق فيه سبباً في سعادة الدارين، اقتضى ذلك أن يتم الإقدام عليه بحكمة وروية.

3 - كون مسألة اختيار الأزواج من المسائل الصعبة المعقدة في عصرنا، وذلك نتيجة لاختلاط الأمور على الناس بسبب العادات والأعراف والتقاليد التي سيطرت على المجتمع في تصوراتهِ وفكرهِ وأخلاقهِ وتشريعهِ.

4 - إن الزواج أحد أهم ثلاثة أحداث في حياة الإنسان وهي الولادة والزواج والموت، وكلا من الولادة والموت يحدثان دون إرادته، وأما الزواج فقراره مرتبط بإرادته ولا شك أن أهم القرارات المتعلقة بالزواج هو اختيار الزوج (رجلاً كان أو امرأة).

5 - إن الزواج عقد يتصف بالدوام، وليس اختيار الزوجة - على الخصوص - اختياراً لسلعة، بل هو اختيار لحياة مشتركة لها آثارها الممتدة من المعاشرة

الدراسات

مما يفضي إلى انحلال الأمة وسقوطها.

8 - إن بناء الجماعة والأمة المسلمة هو الهدف المنشود لكل مسلم غيور على دينه، وهذا لا يتحقق إلا ببناء البيت المسلم الذي يكون بمثابة حصن من حصون العقيدة، والحصن لا يثبت ولا يصمد إلا إذا كان قويًا من الداخل والخارج، من الداخل بالزوجة الصالحة، ومن الخارج بالرجل الصالح.

- لأجل هذه المعاني وغيرها نلاحظ أهمية الاختيار في الزواج، والإقدام عليه، ينبغي أن يمنح مزيداً من الأناة والتروي، إذ في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، ولا بدّ من الرجوع إلى العلماء وذوي الخبرة. وأخيراً الاستشارة - وهي الأهم - واستفتاء القلب مع طلب العون والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، إذ ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، وكما قيل: من شاور الناس شاركهم عقولهم.

- وإذ تعتبر الشريعة الإسلامية اختيار الزوج ركناً أساسياً في بناء الأسرة، فهو مواز لاختيار الزوجة، بل ولعله في كثير من الأحيان يعتبر أهم وأوجب. وذلك لأن اختيار الزوجة وإن كان على أسس خاطئة، ووصل حال الأسرة إلى طريق مسدود، فإنه بإمكان الزوج إنهاء ذلكم الرباط، وذلك عن طريق الطلاق مباشرة.

أما إذا كان اختيار الزوج على أسس غير سليمة، ووصل حال الأسرة إلى الطريق المسدود، فإن المرأة ستعيش في ظلم وندامة ونحو ذلك سواء بقيت تحت عصمته الزوجية، أو طلّقت من قبله أو من قبل القاضي.

- فعملية الاختيار تلعب دوراً رئيساً في تحقيق السعادة الزوجية، إذ أنها تعني الألفة النفسية والعاطفية والبيولوجية والالتزام الاجتماعي، إنها ارتباط في المجتمع قبل أن يكون ارتباطاً بين

عملية البحث عن شريك الحياة، بدلاً من الندم والحسرة بعد الزواج، حيث التشتت والانفصال أو الاستمرار مع البغض، وهذا هو الحصاد المرّ لسوء الاختيار».

فالاختيار السليم هو من أساسيات الحياة السعيدة، فعلى أساسه سوف يقوم إن شاء الله أجمل بناء تشهده البشرية، ومتى ما تهلل البنيان وتصدع، فإنه قد يصاب بالانحيار ويصبح ركاًماً كأن لم يكن...

فعندما تقصد باب الزواج، لا بد أن تضع أمام عينيك الأسس التي تختار من خلالها الطرف الآخر؛ لأنك سوف تشاركه بقية حياتك وستكون ملازماً له ومعه دروب الحياة، فضلاً عن كونه سيصبح شريكاً أبدياً لك ولأطفالك، وكاتماً لأسرارك وحافظاً لأموالك وساتراً لأعمالك، وستكون المرأة التي تنظر من خلالها للمجتمع.

عائلتين مختلفتين أو بين فردين اثنين، إنها عبارة عن مفاهيم أساسية ومضامين قوية تساعد على تكوين الكيان الأسري منذ بداية العلاقة، يقول الدكتور حمود القشعان الاستشاري الأسري بالديوان الأميري الكويتي، والأستاذ الأكاديمي في جامعة الكويت: «عملية التفكير في الزواج أمر فطري والاستعداد لإقامة الأسرة شيء طبيعي، لكن الذي ينبغي أن يكون واضحاً في أذهان الأشخاص المقدمين على الزواج، هو قضية الاختيار التي لها دور الحصان الأسود في تحقيق السعادة الزوجية وهي من الأهمية بمكان، حيث أشار إليها النبي ﷺ في انتفاء الأصحاب، حيث قال «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وإذا كان هذا في باب الرفقاء الذين يعيش المرء معهم بعض الوقت فهو في باب اختيار الطرف الآخر أولى. ومن هنا وجب التوقف والانتباه عند

الدراسات

ولله در الشاعر حيث قال:

أيها السائل عن قصتنا

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا جسداً

من رأنا لم يفرق بيننا

نحن مذ كنا على بحر الهوى

تضرب الأمثال للناس بنا

فإذا أبصرتني أبصرتها

وإذا أبصرتها أبصرتنا

وفي أعصابه معركة وفي نفسه قلق وفي
روحه اضطراب.

فالإسلام ينشئ العلاقة بين الرجل
والمرأة ليسع منها التعاطف ويشيع
فيها الندى، ويفوح منها العبير... إنها
صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن
والقرار، وهي صلة المودة والرحمة
وهي صلة الستر والتجمل، فهي صلة
يفترضها الإسلام لهذا الرباط الإنساني
الرفيق الوثيق.

- فالإسلام يحيط هذه الخلية وهذا
المحضن بكل رعايته وبكل ضماناته،
إذ هو نواة الجماعة المسلمة وهو
الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا
الأخرى، ذلك الجسم الحي... والمجتمع
الإسلامي.

- فالبيت الواحد قلعة من قلاع
هذه العقيدة، ولا بد أن تكون القلعة
متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها.
وكل فرد فيها يقف على ثغرة لا

فالبيت مثابة وسكن، وفي ظلّه تنبت
الطفولة وتدرج الحداثة، ومن سماته
تأخذ سماها وطابعها وفي جوّه تننفس
وتتكيف، وكم من أحداث وحوادث
وقعت على مسرح المجتمع وأثرت في
سير التاريخ، تكمن بواعثها الخفية في
مؤثرات بيئية.

والفرد الذي لا يتمتع في بيته
بالسلام، لن يعرف للسلام قيمة ولن
يتذوق له طعمًا، ولن يكون عامل سلام

بل في كثير من الأحيان دخلت في التفاصيل الدقيقة، وكلّ ذلك بهدف بناء الأسرة على خير ما يكون البناء. وأهم شيء في ذلك الاختيار الحسن وتفهم الطرفين لأمر الزواج.

المطلب الثالث: أسس اختيار الزوجين:

إنّ اختيار العشير أعظم الأمور خطرًا في حياة الرجل والمرأة؛ لأنّ هذا العقد هو عقد الحياة، ومن وفّقه الله نال حظّ الدنيا والآخرة، ومن لم يوفّقه فيه ناله الشقاء، إلا أن يرحمه الله، ولذلك كان لا بدّ من العناية باختيار العشير. والخضوع في اختياره ينبغي أن يكون قائمًا على أسس ثلاثة:

- 1 - الاختيار بالروح.
- 2 - الاختيار بالعقل.
- 3 - الاختيار بالقلب.

وينبغي أن لا يكون خاضعًا لحكم

ينفذ إليها، وإن لم تكن كذلك سهل اقتحام العسكر من داخل قلاعه، فلا يضعب على طارق ولا يستعصي على مهاجم.

- وواجب المؤمن أن يؤمّن هذه القلعة من داخلها، وواجبه أن يسدّ الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بعيدًا بدعوته... ولا بدّ من الأم المسلمة، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة، بل لا بدّ من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات، فعبثًا يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال، فالنساء دورهن كبير في المجتمع فهن الحارسات على النشء، وهو بذور المستقبل وثماره.

ولا يكون هذا متحققًا إلا بحسن الاختيار ودقة الانتقاء، ومن هنا تأتي أهمية الاختيار في الزواج وشدة حساسيتها.

- وهكذا يتبيّن أن الشريعة الإسلامية قد رسمت الخطوط العريضة للزواج،

أمر فقال: «تتكح المرأة لأربع: لماها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» .

ولا يخفى أن النبي ﷺ لم ينكر واحدة من هذه الأمور الثلاثة الأول، فلكل منها دوره في إسباغ الراحة النفسية على كل من الزوجين، ولكنها لا تقدم ولا تؤخر في بعث الحمّة والإرادة والتصميم على الوفاء بالحقوق التي لأحدهما على الآخر، إلا عند اقترانها بالدين.

- ولقد تكلم العلماء على أسس اختيار الزوجين من خلال:

1 - كتب الفقه العامة في باب الزواج.

2 - ومنهم من أفرد لها كتباً خاصة بالدراسة، وذلك نظراً لأهميتها من أمثال الدكتور عمر الحاجي.

- وجعلوا من أسس اختيار الزوجة: الدين، البكارة، الولادة، النسب والحسب، الجمال، المال...

الهوى والميولات الأولية، إذ إن الرجل والمرأة كنصفي دائرة، كل نصف يسبح في هذا الوجود حتى يلتقي بتوفيق الله بالنصف الذي يلائمه ويتحد قطراهما، فتتكوّن منهما دائرة كاملة، وتلك هي دائرة الأسرة التي تكون دعامتها الحياة الزوجية.

وإنّه في سبيل اختيار الزوج الأمثل الذي ترجى معه عشرة صالحة، يقطعان بها هذه الحياة الدنيا في هدوء واطمئنان وإرضاء لله تعالى، فقد سنّ الإسلام نظاماً محكمة تمنع الشطط في الاختيار وتمنع أن يكون الاختيار لأسباب وقتية سريعة الزوال، ومع زوالها يكون انحلال الحياة الزوجية.

- وكثيرة هي الأمور التي تراعى عند اختيار أحد الزوجين لصاحبه، ولكل من هذه الأمور دوره في تحقيق مطلب من مطالب الزواج. وقد لخص النبي ﷺ هذه المطالب وردّها إلى أربعة

أدعى لنجاح الحياة الزوجية وأحفظ لها من الفشل والإخفاق، فهو أمر هام يتحتم توفره، وبذلك تكتمل القناعة عند المرأة في أن قرينها قد أحسنت اختياره وأنه أهل للعيش في كنفه.

فكلاهما يقوم بعملية انتقاء للطرف الذي يماثله من بين الآخرين المتميزين - وخاصة المرأة -.

وتظهر نظرية التكافؤ في التجانس بين القرينين مع بعضهما البعض المتماثلين، أو على الأقل المتشابهين نوعاً ما في أخلاقهما وأفكارهما أو أهدافهما أو تدينهما، أو صفاتهما الجسمية (كالوزن والطول ولون الشعر أو البشر أو السن...)، أو مستواهما الاجتماعي (كغنى أو فقر أسرتهما) أو أسلوب معيشتهما أو مكان سكنهما...

- وهذه النظرية تسمى نظرية التكافؤ في عملية الاختيار. وهناك نظرية تخالف

- وجعلوا من أسس اختيار الزوج: الدين، الشباب والقوة، الجمال، الكفاءة...

- فهنالك أسس تعم الطرفين كالدين والجمال مثلاً...

- وهنالك أسس خاصة بالمرأة كالولادة والبكارة مثلاً...

- وهنالك أسس خاصة بالرجل - عموماً - وبالأخص ومنها الكفاءة...

- فيجعلون من أسس اختيار الزوج الكفاءة بين الزوجين، بمعنى أن يكون الزوج مكافئاً للمرأة، مساوياً أو مقارباً لها في خصال متعددة كالدين، والمال، والجمال وغيرها.

- ويجعلونها من الأسس المهمة؛ لأنها تساهم في استقرار الأسرة واستمرارها، ولا شك أنه كلما كانت مترلة الرجل مساوية أو مقاربة لمترلة المرأة كان ذلك

الدراسات

- ومن جهة أخرى لا يمكن أن نجد قرينين يختلفان عن بعضهما البعض مطلقاً في كل شيء، بل من الممكن أن نجد خاصية أو عدة خاصيات يتشابهان فيها مع بعضهما البعض، كالانسجام مثلاً في الاستعدادات الفكرية.

فالتكافؤ يرتكز على قاعدة تتمثل في السلامة من العيوب ثم تراعى مقاييس الاختيار حسب أهميتها. ويختلف نوع هذه المقاييس من مجتمع لآخر ومن شخص لآخر، فمثلاً أهم مقياس التكافؤ بالنسبة للمجتمعات العربية الإسلامية هو (الدين)، ثم تأتي أوصاف أخرى قد يتغير ترتيبها من زمان إلى زمان ومن مكان لآخر. ولكن التكامل قد يكون في بعض الاختلاف بين الرجل والمرأة في بعض الصفات أو بعدم توفر أحدها أو بعض المقاييس عند أحد الطرفين لكي يحدث التكامل.

فالشخص يعيل لمن يكمله، وفي هذا

نظرية التكافؤ، حيث تقترح أن الناس يميلون لبعضهم البعض للزواج مع من يكملون حاجاتهم.

بمعنى أن الاختلاف وعدم التجانس في المقاييس، يؤدي إلى اختيار قرين أو قرينة معينة وليس التشابه.

- ولكن توسط بعض الباحثين وجمع بين النظريتين انطلاقاً من الواقع، ومن الدراسات التي أجريت على عملية الاختيار، إذ أن كل من نظرية التكافؤ ونظرية التكامل ضروريتان وليس هناك تناقض بينهما.

فمن جهة ليس هناك زيجات بالصدفة، كما أثبتته الواقع والدراسات، فما دامت عملية الاختيار نسبية وتختلف من شخص لآخر، فلا يمكن أن نجد القرينين يتشابهان مطلقاً في كل شيء؛ لأنه حتى التوأمين رغم تشابههما نجد اختلافهما في بعض السلوكات كالمعاملة، درجة التسامح... الخ.

ونظافته والاهتمام بلباسها، كما لا تقتصر على ذلك، بل تتعدى إلى خفة الدم والمهارة في شغل البيت، مما تنعكس كل هذه الصفات على سلوكاتها ومعاملاتها، ومقابل ذلك نجد في الرجل مظاهر الرجولة المتمثلة في الشهامة والقوة الجسدية والإقدام، مما يسمح له بحماية المرأة وأسرته... ويكون التكامل أيضاً في المزاج والطباع بين القرينين من حيث الاندفاع والرزانة والصبر والانفعال والاحتكام للعقل وللعاطفة، وسعة الصدر وضيقه... الخ.

ومما يسجل على (أساس الكفاءة) باعتباره من أهم الأسس في الاختيار الزواجي، أن هنالك تداخلاً بين أساس الكفاءة من حيث أوصافها وبين الأسس الأخرى.

حيث يذكرون، من أسس الاختيار: المال، النسب، الجمال...

المضمار نجد الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله - يقول فيما معناه: إنّ المرأة ليست أعلى من الرجل أو أدنى منه ولا مساوية له وإنما هي مكملة له.

- ومن الصفات التي تسمح بتحقيق التكامل بين الزوجين ما يلي:

1- يظهر في الاختلاف الفيزيولوجي، إذ أن أنوثة المرأة يظهر فيها سرّ هذا التكامل، حيث تنفرد (بدورة الحياة التي هي في تغيّر دائم: العادة الشهرية، الحمل، سن اليأس).

2 - يظهر التكامل أيضاً بعد إنجاب الأطفال، حيث تقسم الأدوار بين الأب والأم من حيث الرضاعة، التربية، الإنفاق على الأسرة... إلى آخره.

3 - ومن آثار الاختلاف في التكوين الفيزيولوجي مظاهر الأنوثة من رقة القلب، وأحاسيس مرهفة، وعاطفة ورشاقة، التي تعني عناية المرأة بجسدها

الدراسات

من أهم أسس الاختيار في الزواج،
وباعتباره من أسباب تحقيق سعادة
الزوجين واستمرار الأسرة واستقرارها
تناولناه بشيء من التفصيل في الفصلين
القادمين.

ملاحظة: الموضوع يتبع في العدد

القادم، وهو موثق وله مراجع.

وكذلك في الكفاءة ومن أوصافها
وخصالها: المال، النسب، الجمال...
ولكن خصال الكفاءة وصفاتها تكون
متبادلة بين الطرفين (الرجل والمرأة)، في
حين ذكرها على انفراد تخص طرفاً دون
طرف.

- ولما كان التكافؤ بين الزوجين

